



المملكة العربية السعودية

جامعة الملك سعود

الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية



اللقاء السنوي الخامس

التأصيل الإسلامي للتربية وعلم النفس

في الفترة من ١٢ - ١٥/١١/١٤١٣ هـ



الرقم التسلسلي ٢٢

إنفعال الخوف في القرآن الكريم

بحث بعنوان :

الدكتور عبدالباسط متولي عاشور خضر

اسم الباحث :

بسم الله الرحمن الرحيم

- إنفعال الخوف في القرآن الكريم
- إعداد
- دكتور عبد الباسط متولي خنجر
- أستاذ الصحة النفسية المشارك
- كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بالجنوب

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الاسلام .. وجعل لنا القرآن منهجاً لتفويهم سلوكنا في الدنيا وكسب الدرجات العلا في الآخرة . إن شاء سبحانه . والقرآن الكريم ملئ بكل ألوان الإنفعالات التي يعجز العقل البشري عن أن يجمعها كلها في بحث واحد، أو نظرية واحدة، فهو الكلام الفصل الذي خاطب به الخالق قلوب المخلوقين وعقولهم . " أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ " (سورة الحديد : ١٦) .

ولقد قرب لنا الخالق أروع التشبيهات البيانية لإنفعال الجمادات بفعل تأثير هذا القرآن حيث يقول " لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ لِمَن نَّهَضَهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ " (سورة الحشر : ٢١) .

وبحاول الباحث في هذا البحث أن يأتي بالعلم من أموله، وأن ينقش في تراثنا الإسلامي الأصل عن الأصول الشائعة لإنفعال الخوف (١) . ولن أجد أثبت، ولا أشمل من القرآن الكريم، ليكون مرجعي الأساسي في هذا البحث المتواضع، فإن حالفتي التوفيق فالحمد لله وحده، علمنا ما لم نكن نعلم وكان فضل الله علينا عظيماً ، وإن لم يحالفني ما أتمناه فحسبي ما قضيته مع كتاب الله، وعلى الله قعد السبيل .

مشكلة البحث :

- يمكن صياغة مشكلة البحث الحالي في التساؤل الرئيسي التالي: إلى أي حد يعالج كتاب الله " القرآن الكريم " موضوع الخوف وينبثق من هذا التساؤل عدة تساؤلات فرعية وهي :
- (١) هل يتناول القرآن الكريم جميع أنواع الخوف المعروفة لدى علماء النفس المعاصرين ؟
 - (٢) هل يفوق تناول القرآن الكريم لإنفعال الخوف ما يوفره لنا التراث النفسي المعاصر ؟
 - (٣) هل يختلف مستويات الخوف لدى الناس باختلاف درجات إيمانهم ؟
 - (٤) هل يعالج القرآن الكريم علامات الخوف الجسمية ؟

أهمية البحث :

تتمثل أهمية الدراسة الحالية في كونها تبحث عن الهوية الإسلامية لأحد الموضوعات الهامة من العلوم الإنسانية، وهو موضوع إنفعال الخوف ولا أستطيع الإدعاء بأنني أول من كتب في هذا الموضوع، فقد سبقني في ذلك محمد عثمان نجاتي، في تناوله لهذا الموضوع ضمن كتاب القرآن الكريم وعلم النفس وكان لهذا التساؤل الرائع البذور الأولى التي أنبتت فكرة هذا البحث . (محمد عثمان نجاتي ، ١٩٨٢ ، ٦٦ - ١٠٦) . (١) .

• يتقدم الباحث بخالص شكره إلى الدكتور محمد المنوفي على جهوده في

مراجعة البحث .

(١) يمثل الرقم الأول بين القوسين سنة النشر والرقم الثاني رقم الصفحة .

حدود البحث :

يتحدد البحث الحالي بعدد من الحدود هي :

أولاً : الحدود المنهجية : استخدم الباحث المنهج الوصفي مستنولاً أسلوب التحليل الكيفي لآيات القرآن الكريم وانتفساً الآيات التي تعالج موضوع الخوف، وتصنيفها في ضوء ما يتوفر لدى الباحث من التراث العلمي، بما تتضمن عملية التحليل الكيفي للنصوص من اختيار الآيات القرآنية المناسبة للموضوع وتفسيرها ، دون عزل الآيات عن سياقها هذا واقتضى التحليل الكيفي أن يقرأ الباحث كتاب الله قراءة شاملة، إذ أدرك الباحث أنه من المستحيل الوقوف على إنفعال الخوف في كتاب الله اعتماداً على بعض الآيات . ثم قام الباحث بعرض النتيجة النهائية للتحليل في هذا البحث على أحد الاساتذة المتخصصين في القرآن وعلومه . (مير محمد حسين ، ١٩٨٣ م ، ٢٥ - ٢٨) .

ثانياً : الحدود البشرية : تعتمد خلاصة هذا البحث على مجهود فسردي للباحث والجهد البشري لا يخلو من السلبيات . فالكمال لله وحده . ولا أم لك إلا أن أقول في هذا المقام : " رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَيَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْزُزَّنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْمُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ " (سورة البقرة : ٢٨٦ الآية) .

ثالثاً : الحدود الذاتية : يمثل هذا البحث النتاج الثالث في مجال التأميل الإسلامي للعلوم الإنسانية، حيث بدأ الباحث انتاجه العلمي بعد درجة الدكتوراة ببحث بعنوان " دراسة أثر تعلم العلوم الدينية (قرآن - فقه - توحيد) على مستوى النمو اللغوي للطفل . ثم ختم نتاجه العلمي السابق بدراسة بعنوان الثواب والعقاب من منظور القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وعلم النفس المعاصر . (عبد الباسط خضر ، ونهيل زايد ، ١٩٩٩) .

ولذلك فالباحث مبتدئ . في هذا المجال المعصب ولا يعدوا كونه طالب علم يتلمس العلم من أصوله، ويبحث لذاته عن جذور إسلامية أصيلة وشابطة تستمد قوتها من قوة هذه الأمة التي ارتضاها لها الخالق جل وعلى " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ " (سورة آل عمران : ١١٠ الآية) .

رابعاً : الحدود المرجعية : كان وما زال المرجع الأساسي في هذا البحث هو كتاب الله العظيم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولذا لن يعتمد الباحث في هذا البحث إلى الاجتهاد في الاعتماد على المصادر الأخرى، إلا بقدر الحاجة، وذلك لطبيعة هذا البحث التي تتميز بالخصوصية العالية لمصدر البحث الأساسي .

مصطلح البحث : إنفعال الخوف Fear Emotion يعرف الباحث الخوف على أنه حالة من الاضطراب الانفعالي يصحبها تغيرات جسمية وفسولوجية، تختلف حسب موضوع الخوف وشدة .

الإطار النظري للبحث

لن يهرج الباحث على أي كتاب غير كتاب الله عز وجل فهو القول الفصل، لكي يستخرج منه الإطار النظري للبحث والذي يجيب بلا لبس ولا افتعال على كل تساؤلات الباحث في مشكلة بحثه .

أولاً : أنواع الخوف :

إنفعال الخوف من الإنفعالات البهامة في حياة الإنسان، وذلك إذا وجد في الإنسان بدرجة مناسبة فإنه يوجه سلوك الإنسان توجيهاً يملح حياته ويقوم

سلوكه، وإذا ارتفعت درجة هذا الإنفعال إلى الدرجة العالية فإنه يتحول من إنفعال طبيعي وظيفي إلى عرض أو حالة مرضية قد تعوق سلوك الإنسان وتؤثر سلباً على حياته وهنا يعرف الخوف المرضي بالخوف . Phobia .
ولقد تعددت ألوان الخوف من منظور القرآن الكريم ونورد منها :

(١) الخوف من الله :

هنا يقصد الباحث الخوف من الذات الإلهية ونذكر من هذه الآيات قول الله

تعالى :

"يَسْتَنِي إِبْرَاهِيمَ إِذْ يَبْنِي أَلْبَتَرُ يُعَمِّيهِ الْآتِي أَنْعَمْتَ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَازَهُبُونَ" سورة البقرة : (٤٠) .

وهنا وإن كان الخطاب في هذه الآية موجه إلى بنى إسرائيل "اليهود" لخشية الله فهو أيضاً خطاب عام إلى كافة البشر .

"ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ وَإِنْ مِنْ الْحِجَارَةِ لِمَا يُتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لِمَا يَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لِمَا يَنْسِيلُ مِنَ الْخَشْيَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَفِيٌّ" (سورة البقرة : ٧٤)

وهل بعد إنفعال الجمادات وخوفها من الله إلا أن تلين قلوب عباده من البشر الذين وهب لهم نعمة الاحساس .

"وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم بَلَدٌ وَلَئِن شِئْنَا لَنَقْلُبَنَّ أَقْسَامَهُمْ" (سورة الأنعام : ٥١) .

والإنذار هنا موجه إلى كل من له عقل يعقل قدرة الله عز وجل، وأنه ليس له شفيح ولا نصير من دون الله حيث أن الإذن بالشفاعة من الله فالأمر منه وإليه .

(سيد قطب : ١٩٨٩ ، ١٠٩٩) .

"وَلَمَّا سُكِّتَ مِنْ مَوْنِي الْغُصْبِ أَخَذَ الْأَنْوَاخَ وَفِي نَسْخَتِهَا هُدًى وَرُحْمَةً لِّلَّذِينَ هُمْ لِزَيْبِهِمْ يَرْجِعُونَ" (سورة الأعراف : ١٥٤) .

تؤكد الآية بأن رهبة الله وخشيته هي التي تفتح القلوب للهدى وتوقظها من الغفلة وتبهر الفرد للاستجابة والاستقامة . (سيد قطب : ١٩٨١ ، ١٣٧٦) .

"إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ" (سورة الأنفال : ٢) .

وتورد هذه الآية الكريمة من صفات المؤمنين الارتعاشة الوجدانية التي تنتاب قلب الفرد وجسمه حين يذكر بالله، في أمر أو نهي، وتستغفر فيه مخافته، ويتمثل عظمة الله ومهابته ، إلى جانب تغميره هو، وذنبيه، فينبعث إلى العمل

والطاعة . (سيد قطب : ١٩٨١ : ١٤٢٥) .

"وَإِذْ زَيَّنَّا لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَلْتُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفَلَائِتَ أَنَّكَ عَلَىٰ عَقْبِهِ وَقَالَ إِنِّي بَرٌّ" (سورة الأنفال : ٤٨) .

يسجل هذا الحوار القرآني الرائع كيف أن الشيطان ساعه الجد يقرر خوفه من الله رب العالمين، فما بالناس بالإنسان- ما أضعفه- أمام قدرة الله شديد

العقاب .

"إِنَّمَا يَغْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ دَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الْمَلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ" (سورة : التوبة : ١٨ الآية) .

والنص على خشية الله وحده دون سواه بعد شرطي الإيمان الباطن والعمل الطاهر، لا يجيئ نافلة . فلا بد من التجرد لله ، ولا بد من التخلص من كل طلل للشرك في الشعور أو السلوك ، وخشية أحد غير الله لون من الشرك الخفي ينسب إليه النص قصدًا في هذا الموضع ليمتحن الإعتقاد والعمل كله لله . (سيد قطب :

١٩٨١ ، ١٤ ، ١٦) .

"وَيَسْبَحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الرُّعُودُ فَتَغِيْبُ بِهَا مَنَ شَاءَ وَهُمْ يَجِدُلُونَ فِي اللَّهِ شِدِيدَ الْمَحَالِ" (سورة الرعد : ١٣) .
 "وَالَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُؤْمَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ" (الرعد : ٢١) .

وقد أشرك الله عز وجل الملائكة في خيبتهم وتسبيحهم بحمد الله مع الرعد، ليعطى الإعجاز البياني مع الرهبة الشعورية التي يجسدها خوف كل من الملائكة، وهي خلق غير مرئي من خلق الله والرعد، وهو أحد الظواهر التي تبعث الخوف وكثير الطمع في النفوس البشرية .

وفي الآية الثانية فإن خشية الله ومخافة عقابه الذي يسوء في يوم لقاءه الرهيب، من صفات أولى الألباب الذين يتدبرون الحساب قبل يوم الحساب .
 "وَلَنُكَلِّمَنَّكَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ" (سورة إبراهيم : ١٤) .

والخوف من مقام الجليل، والعمل بالتنزيل، ليس جزاء الجنة فعسب في الآخرة بل من جزائه أيضا التمكين في الدنيا وأكبر شاهد على ذلك ما وصلت إليه الفتوح الإسلامية في عهد الصفوة الأولى من الأمة الإسلامية .
 "وَاللَّهُ يَتَجَدَّدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ" يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون " وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِنَّكُمْ قَارُونَ " (النحل ٤٩-٥١) .

في هذا المشهد الرائع لم يستثن الخالق جل وعلا أي صنف من الحشد الكوني من الخوف من العزيز المتعال، ومن السجود له، فكلهم سواء في مقام الخوف والخشوع والخضوع وعبادة الله والسجود، لا يستكبرون عن عبادته، ولا يخالفون أمره، والمنكرون والمستكبرون من بني الإنسان وحدهم شواذ في هذا المقام العجيب . (سيد قطب : ١٩٨١ : ٢١٧٣ ، ٢١٧٤) .

" طه " مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى " إِلَّا تَذَكُّرٌ لِمَنْ يَخْشَى " (طه : ١ - ٣) .
 ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى بتلاوته، أو التعبد به، أو لتشقى مع الناس الذين قست قلوبهم فلا يؤمنون به، فليست مكفلا أن تحملهم على الإيمان حملا، وما كان هذا القرآن، إلا تذكير ونذير لمن يخشى الله، ويتذكر حين يذكر، وينقش به فيستغفر .
 " الَّذِينَ يَبْلِغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَ اللَّهَ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا " (الأحزاب : ٣٩) .

الذين يبلغون رسالات الله فلا يحسبون للخلق حسابا فيما يكلفهم الله به من أمور الرسالة ، ولا يخشون أحدا إلا الله الذي أمرهم للتبليغ والعمل والتنفيذ وكفى بالله حسيبا، فهو وحده الذي يحاسبهم وليس للناس عليهم من حساب . (سيد قطب : ١٩٨١ : ٢٨٧٠) .

" وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ " إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ " (فاطر : ١٨) .

بعد أن أقر المشرع سبحانه بحقيقة فردية التبعية والجزاء الفردية الذي لا يغني فيه أحد عن أحد شيئا، وحين يشغل نفس بما تحمل ثم تدعو أقرب الأقرباء ليحمل عنها شيئا فلن تجد من يلبي دعاها، ويرفع عنها شيئا مما يشغلها .
 والذين تتفتح قلوبهم من خشية الله، فهو لا هم الذين يفلح فيهم الإنذار ، هؤلاء الذين يخشون ربهم ولم يشاهدوه، ويقيمون الصلاة ليتصلوا بربهم ويعبدوه ، هؤلاء الذين ينتفعون بك، ويستجيبن لك، فلا عليك يا محمد ممن لا يخشى الله، ولا يقيم الصلاة، فمن تطهر فانتما يتطهر لنفسه، لا لك ولا لغيره، والله هو المحاسب وهو المجازي (سيد قطب : ١٩٨١ : ٢٩٣٨ ، ٢٩٣٩) .

"وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ" (فاطر : ٢٨) .

هذا الكتاب الكوني الجميل الصفحات العجيب التكوين والتلوين حسب ما أوردت الآيات السابقة يفتحه القرآن ويقلب صفحاته ويقول بأن العلماء هم الذين يتدبرون هذا الكتاب العجيب ومن ثم هم أكثر الناس معرفة بالله فيعرفونه بآثار صنعه . يدركونه بآثار قدرته ويستشعرون حقيقة إبداعه ومن ثم يخشونه حقاً ويتقونه حقاً ويعبدونه حقاً . (سيد قطب : ١٩٨١ : ٢٩٤٣) .

ويتوارى نفس المعنى في الآية الكريمة التالية :
" إِنَّمَا تَنْذِرُ مَنْ أَتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ" (يس : ١١) .

"وَأَنْزَلْنَا إِلَيْنَا الْقُرْآنَ بِالْمَعْنَى غَيْرَ بَعِيدٍ" هذا ما نعوذون لكل أوام حفيده من خشية الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ" (ق : ٢١ - ٢٢) .

هذا جزاء كل أوام يخشى الرحمن بالغيب، يأتي إلى الله بقلب منيب له . بل يزيد الجزاء إلى أكثر من ذلك كما يقول عز من قائل في سورة الرحمن .
" وَلَقَدْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ " (الرحمن : ٤٦) .

ولن يكون نتيجة لهذا الثواب العظيم وهذا النذير المبين إلا الفرار إلى الله كما في سورة الداريات .
" فَفَرَّوْا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ " (الداريات : ٥٠) .

فبعد أن خلق الخالق بقولنا في أجواء السماء وفي آساف الأرض وفي أعماق الخلائق يهتف بالبشر ليفروا إلى خالق هذه السماء والأرض والخلائق متجربين من كل ما يشغل أرواحهم ويقيدها، موحدين الله الذي خلق هذا الكون وحده لا شريك له (سيد قطب : ١٩٨١ ، ٢٣٨٦) .

" كَمَثَلِ الْفَخَّافِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ أُكْفَرُ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي نَرَىٰ مُسْكًا إِنِّي أَخْسَأُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ " (الحجر : ١٦) .
إذا كان ذلك قول الشيطان فماذا يقول الإنسان ما أضعفه .

ويتوارى نفس المعنى الذي جاء في سورة الرحمن في قوله جل وعلى "إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ" (الملك : ١٢) .
"أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ" كَقَوْلِ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكَسَىٰ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْسَىٰ" (النارعات : ١٧ - ١٩) .

ثم تتوالى المشاهد الرائعة في هذه السورة .
" إِنْ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّمَن يَخْشَىٰ " (النارعات : ٢٦) .
وأيضا في ذات السورة .

" وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَىٰ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ " فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ " (النارعات : ٤٠ ، ٤١) .
وتأتي نبرات العتاب الشديد في سورة عبس لرسول الله الكريم، في شأن ابن أم مكتوم " وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ " وَهُوَ يَخْشَىٰ " فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ " (عبس : ٨ - ١٠) .

وهنا دروس الأدب القرآني في أساليب المعاملة، وآداب الحوار والاستماع وطلب العلم، وعطائه، ليست موجة إلى معلم البشرية فحسب بل هي دروس لا تناظرها دروس موجة إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

وفي سورة الأعلى يأتي الأمر الإلهي إلى رسوله ليذكر من يخشى في قوله تعالى "فَذِكْرٌ لَّكَ الْذِكْرَىٰ" "يَذْكُرُ مَن يَخْشَىٰ" (الأعلى : ٩ ، ١٠) .
وأخيرا وليس بآخر يأتي آخر سورة البينة مؤكدا على هذا المعنى، فإن جزاء الخائف من الله هو الجنة .

"جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رِضَىٰ اللَّهِ عَنْهُمْ وَرَرُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَن خَشِيَ رَبَّهُ" (البينة : ٨) .

جنات الإقامة الدائمة في نعيمها الذي يمثله هنا الأمن من العناء والفوات، والطمأنينة من القلق الذي يعكر وينفص كل طيبات الأرض، كما يمثله جريان الأنهار من تحتها، وهو يلقي ظلال النداء والحياة والجمال. ثم يرتقى السياق في تجسيد هذا النعيم " رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ " أي هذا الرضا من الله هو أعلى وأندى من كل نعيم، هذا الرضا في نفوسهم من ربهم، الرضا عن قدره فيهم والرضا عن أنعامه عليهم، والرضا بهذه العلة بينه وبينهم، والرضا الذي يغمر النفس بالهدوء والطمأنينة والفرح الخالص العميق.

كل هذه الطيبات متوقفة على صلة القرب بالله، والشعور بخشيته، خشية تدفع إلى كل صلاح، وتنهي عن كل إنحراف، الشعور الذي يزرع الحواجز، ويرفع الأستار، ويقذف القلب عاريا أمام الواحد القهار.

فالذي يخشى ربه خفا لا يملك أن يخطر في قلبه ظلا لغيره من خلقه، فبهسو أغنى الشركاء عن الشرك، فالخوف من الله لونا من ألوان العبادة لا تحقق إلا للحق.

الخوف من عذاب الله : (٢)

قد يتصور الدرد أن الخوف من الله هو ذاته الخوف من عذاب الله، إلا أن الإنفعاليين مختلفان، فقد يخاف الطفل من والده لذاته، وقد يخاف آخر من عقاب والده له. وقد يكون خوف الأول من والده أكبر، رغم علمه بأن والده لن يعاقبه. التشبيه هنا مع الفارق الكبير فخوف الفرد من الذات العلية لقدرتها وعطائها وجلالها شيء، وخوف الفرد من عقاب الله شيء آخر. نعم قد يتداخل الأمران معا بعض الشيء إلا أن هذا مفهوم وذلك مفهوم آخر.

وتأتي آيات الذكر الحكيم مجدة هذا المعنى في قوله تعالى:

" أَفَأَمِّنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السُّيُوفَ أَنْ يَخَذَ اللَّهُ مِنْهُمْ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ؟ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ؟ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ " (النحل : ٤٥ - ٤٧).

في هذا الدرس الشامل يأتي الحق جل وعلا بلمسة وجدانية، وذلك للتخويف من مكر الله الذي لا يأمنه أحد في ساعة من ليل أو نهار، حيث أعجب العجب في البشر أن يد الله تعمل حولهم، وتأخذ بعضهم أخذ عزيز مقتدر، فلا يفطن عنهم مكرهم وتدبيرهم، ولا تدفع عنهم قوتهم وعلمهم وما لهم، وبعد ذلك يظلم الذين يمحرون يمحرون، ويظلم الناجون آمنين لا يتوقعون أن يؤخذوا كما أخذ من قبلهم ومن حولهم، ولا يخشون أن تمتد إليهم يد الله في محوتهم أو في منامهم، في غفلتهم أو في استيقاظهم. والقرآن الكريم يلهم وجدانهم من هذا الجانب ليثير إنفعالاتهم للخطر المتوقع الذي لا يغفل عنه، إلا الخاسرون.

أو يأخذهم وهم يتقبلون في البلاد، من بلد إلى بلد للتجارة أو السياحة، "فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ" لله، ولا يبعد عليه مكانهم في حل أو ترحال " أَفَأَيُّهَاهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ " فإن يقطعتهم وتوقعهم لا يرد يد الله عنهم، فهو قادر على أخذهم وهم متأهبون لقدرته على أخذهم وهم لا يشعرون؟ ولكن الله رؤوف رحيم، (سيد قطب، ١٩٨١، ٢١٧٣).

" أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا " (الإسراء : ٥٧).

بعد أن قرر لهم الخالق في الآية التي تسبق هذه الآية أن من يدعوا إليه من الملائكة أو الجن أو الإنسان هم إلا خلق من خلق الله، يحاولون أن يجدوا طريقهم إلى الله، ويتسابقون إلى مرضاته ويخافون عذابه، الذي يحذره من يعلم حقيقته ويخشاه.

وقد كان بعضهم يدعو عزيرا ابن الله ويعبدوه، وبعضهم يدعو عيسى ابن الله ويعبدوه، وبعضهم عبد الملائكة. وبعضهم يدعو غير هؤلاء. فالله يقول لهم جميعا : ان هؤلاء الذين تدعونهم أقربهم إلى الله ويبتغي إليه الوسيلة، والتقرب إليه بالعبادة، ويرجو رحمته، ويخشى عذابه - وعذاب الله شديد

يحذر ويخاف، فما أجدركم أن تتوجهوا إلى الله ، كما يتوجه إليه من تدعونهم
إليه من دونه وهم عباد له ، يبتغون رضاه .

وتأتي الآيتان التاليتان في ذات السورة تحمل معنى مؤكدا لذات المعنى
السابق إذ يقول جل وعلا :
" وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْعِقَامِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا
كَانَ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ مُنْظُورًا ۖ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا
الْأُولُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْجَرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا " (الاسراء : ٥٨ ، ٥٩) .

ولما كانت الرسالة الإسلامية هي الرسالة الخاتمة . ولذا كان الإعجاز فيها
قائم ودائم في منهاجها الباقي، وكان هذا المنهاج يخاطب العقل الراشد، ويجلب
الرشد إلى العقل فكان في قصص الأمم السابقة وما حاق بها من ألوان العذاب
لونا من ألوان التخويف الذي يوجه إلى العقول النافجة لكي تزداد نفجا
وتتمل بالخالق جل وعلا .

ويسترسل السياق في مجال التخويف في الآية التالية حتى يقول عز من قائل
" وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا " (الاسراء : ٦٠ الآية) .
فالذين تغلق آذانهم أمام ذكر الله، وتومد قلوبهم وعقولهم أمام آيات الله، لا
تزيدهم هذه الآيات إلا غلا وطفيانا .. وأما الذين أنعم الله عليهم وتتشعر
جلودهم من هذه الآيات، وتدمع عيونهم منها، فهم الذين يظلم الله في ظلمه يوم
لا ظل إلا ظله .

" وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَفَرَفَنَاهُ فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْسِنُونَ
ذِكْرًا " (طه : ١١٣) .

وكذلك على هذا النسق نوعنا في هذا القرآن من مور الوعيد ومواقفة ومشاهدة
لعله يخشى ، ويجيش في نفوس المكذبين شعور التقوى، أو يذكرهم بما سيلقون في
الآخرة فيسترجوا ، فذلك إذ يقول الله في أول السورة " مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ
الْقُرْآنَ لِتَشْقَى . إِلَّا تَذَكُّرٌ لِمَنْ يَخْشَى " .
" وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَسْقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ " (غافر : ٣٠) .

وفي سورة الطور :
" وَأَقْبَلْ بِغَضَبٍ عَلَى بَعْضِ يَتِيمَانِ ۖ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۖ
فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا عَذَابَ النَّعْمِ ۖ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ
الرَّحِيمُ " (الطور : ٢٥ - ٢٨) .

السرف في هذا النعيم المقيم، الذي يجدونه عند ربهم هو أنهم عاشوا في حذر من
لغائه وعذابه، عاشوا في خشية من لقاء ربهم، فمن الله عليهم وجزاهم بوقايتهم
عذاب السموم، ففي حالة أمنهم وعيشهم مع أهلهم كان خوفهم من ربهم محرك
لسلوكلهم، ولذلك كان أمنهم يوم العرض عليه هو أفضل جزاء، وعذاب السموم هو
ذلك العذاب الذي يتخلل الأبدان كالم الحار اللازع ، فوماهم ربهم هذا

العذاب منه وفغلا، إنه هو البحر الرحيم . (سيد قطب : ١٩٨١ ، ٩٧ : ٣٣) .
" فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةُ اللَّهِ وَمَقِيلُهَا ۖ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ
رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَثَوَّلْنَا ۖ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا " . (الشمس : ١٣ - ١٥) .

فقد حذر رسول الله آل شعوب أن يعموا الناقة بسوء، وكذلك المصا الذي جعل
لها يوما ولهم يوما، كما اشترط عليهم عندما طلبوا منه آية، ولكن الطغسيان
والعناد تمكن منهم، فعقر أشقاهم الناقة مما أدى إلى تحريك القدرة لتبسط
البطشة الكبرى ، وكانت الدمدمه والغضب وما تبعه من تنكيل، واللفظ ذاته
"دمدم" يوحي بما وراءه، ويكاد يرسم مشدا مروعا ومخيفا ولا يخافه إلا من لا
يقدر عليه ، أما صاحب القدرة فلا يخاف العقابه . (سيد قطب : ١٩٨١ ، ٣٩١٩) .

(٣) الخوف من يوم القيامة :

لقد أبدع الخالق في تموير هول يوم القيامة في أكثر من موقع في قرآنه الكريم نذكر منها على سبيل المثال : "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ" * يَوْمَ تَرْوُفُهُمَا تَدْخُلُ كُلُّ مَرْجَفَةٍ عَمَّا أَرْعَفَتْ وَتَفْجَعُ كُلُّ دَابَّةٍ خَفِيلٍ خَلْفَهَا وَتُرَى الْكُفَّاءُ نَكْرًا وَمَا هُمْ بِمَكْنُورٍ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ كَؤِيدٌ " (الحج : ٢٠١) * وسوف نورد في هذا العدد آيات الذكر الحكيم التي تعالج هذا الجانب من الخوف ومنها :

"وَإِذَا تَنَزَّلْنَا عَلَى شَرِينَةٍ أَنَاذَرْنَا أَنَّا لَمَّزْنَا لَكُمْ إِلَهُكُمْ فَأَنِ انظُرُوا إِلَيْكُمْ فِي يَوْمٍ يُخَالِفُونَ أَفْئِدَتَهُمْ حَقِيقَتًا إِنَّهُمْ فِي يَوْمٍ كَذِبٍ" (يونس : ١٥) * "وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُغْفِرْ لَكُمْ مَسْأَلَتَكُمْ وَإِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ" (هود : ٣) * "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ" (هود : ٢٥ ، ٢٦) * "إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لِّلنَّاسِ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ" (هود : ١٠٣) * "وَلَا تَحْصِنَ اللَّهُ غُلْفًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَخْطُبُ فِيهِمُ

الْأَبْشُرُ" (إبراهيم : ٤٢) * "وَوُجِعَ الْجَنَّةُ كَثْرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مَعًا فِيهِ وَيُقْبَلُونَ يَوْمَئِذٍ نَّارًا هَذَا الْجَنَّةُ لَا يَفْسَادُ مَغِيرَةٌ وَلَا مَغِيرَةٌ وَلَا مَغِيرَةٌ * إِلَّا أَهْلُهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا خَافِرًا وَلَا يَنْظُرُهُمْ رَبُّكَ أَهْذًا" (الكهف : ٤٩) * "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا نَوْمًا لَا يَجْزِي وَالْبَدْءُ غَنَ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ مِّنَ الْوَالِدِ شَيْئًا وَإِن يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ حَقَّ عَذَابِهِ لَأَنفِرَنَّكُمُ الْمَاسِيَةُ الدُّنْيَا وَلَا يَفْرَتَنَّكُمْ

بِاللَّهِ الْعَزَّوَجَلَّ" (القصص : ٢٣) * "وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ" (سبا : ٢٣) * "وَلَوْ تَرَى إِذْ فُزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ * وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَنُفِئَ الشَّاوِثِينَ مِمَّنْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْفُلْجِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ * وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّبِينٍ" (سبا : ٥١ - ٥٤) * "وَيَسْأَلُوكُمُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمُ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مَذْهَبِينَ مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ

مِن عَاجِمٍ وَمَن يُظْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ" (غافر : ٢٢ ، ٢٣) * "كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ" (العدس : ٥٣) * "يَسْأَلُ أَتَى يَوْمَ الْفَيْلَةِ * فَإِذَا بَرَقَ التَّبَعُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّعْسُ وَالْقَمَرُ" * يقول الإنسان يومئذٍ أَتَى الْقَمَرُ" (القيامة : ٦ - ١٠) * "يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَبِيرًا * مُّشْطَرًّا * وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَسَبِ مَسْكِينَةٍ وَيَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ * إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا * إِنَّا نَخَافُ مِن رَبِّنَا يَوْمًا غَمًّى قَظِيمًا" (الإنسان : ٧ - ١٠) *

وأخيرا وليس بآخر يوجه الخالق جل وعلا سؤاله إلى حبيبه ومطفياء محمد بن عبدالله قائلا : "يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُّرْسِيهَا * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا * إِنَّ رَبَّكَ مُنْذِرُهَا * إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مِّنْ خَشْيَتِهَا * كَانَتْهُمْ يَوْمَ تَرْوُفُهُمَا كَمَ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضَعُفًا" (النارعات : ٤٢ - ٤٦) *

وتجد هذه الآيات حول يوم الحساب يوم العقاب كيوم المأخرة، يوم القيامة، "وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَنَّهُ سَنَةٌ مِمَّا تَعُدُّونَ" (الحج : ٤٧). هذا من ناحية الشغل والطول، فما بالناس من ناحية الآثار الجمية والفسولوجية والإنفعالية على الأفراد .
 " فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا " (المرمل : ١٧) .
 وهل هناك أبلغ وأبعد من تصوير الخالق لأكبر ألوان الإنفعال بالخوف من ذاته وعذابه ويوم حسابه جل وعلا .

(٤) الخوف من الموت :

يختلف الناس فيما بينهم في مشاعرهم تجاه الموت ، فمنهم من يخافه وترتعد منه أطرافه ربما لمجرد ذكر كلمة الموت أمامه ، ومنهم من يتحول هذا الخوف لديه إلى مستويات دائمة أو مؤقتة من القلق أو الخوف، ومنهم من يملأ الايمان جميع جوارحه لدرجة أنه لا يخشى الموت ، هؤلاء ممن عمسروا بالايمان آخرتهم، فأكثروا من الطاعات واستعدوا تعب الدنيا، خوفا من الله وطمعا في كرمه ورضوانه ، حيث يصفهم العلي القدير بقوله :
 " إِنَّمَا يَوْمٌ مِّنْ بَيْنَيْنَا الَّذَيْنِ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حُرُّوا سُبْحًا وَنَحْوُوا بِحُمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ " . تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا زَرَعْتُمْ يَنْتَقُونَ " . فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَسَبُوا يَفْعَلُونَ " (السجدة : ١٥ - ١٧) .

وهناك فريق آخر يحاولون الفكاك من الموت والفرار منه بشتى الطرق المعسنة الظاهرة، أو الخفية اللاشعورية ، ولكن أجل الله قريب . (عبد الباسط خضري، ١٩٩١) .

ويخاطبهم المحي المميت بقوله " قُلْ إِنْ أَلْفُ نَفْسٍ تَقْرُونَ مِنْهُ فَلْيَأْنِتْهُم مِّنْ لَّيْلَةٍ يُتَوَكَّلُونَ " (الجمعة : ٨) .
 وفيما يلي نورد بعض آيات الذكر الحكيم التي عالجت موضوع الخوف من الموت :
 " أَوْ كَذَّبْتَ بِالنَّفْسِ فِيهَا ظَلَمْتَ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آدَانِهِمْ وَقَالُوا لَوْ أَنَّ لِلْمُوتِ أَجْزَارًا مِّمَّا يَفْتَقِرُونَ لَأَقْرَأَ الْآيَاتِ الْكُبْرَى " (البقرة : ١٩) .
 " قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ " (آل عمران : ٣٢) .
 " وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَتِدَّاءُ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ " .
 وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَاقَبُ آلَافَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُعَزِّجِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَاقَبَ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ " البقرة : ٩٤-٩٦) .

لقد كان اليهود يطلقون دعوى عريضة ، أنهم شعب الله المختار ، وأنهم وحدهم المهتدون ، وأنهم وحدهم الفائزون في الآخرة، وأن ليس لغيرهم من الأمم في الآخرة عند الله نصيب ، وهذه الدعوى تتضمن أن المؤمنين بمعهد - صلى الله عليه وسلم - لا نصيب لهم في الآخرة . والهدف الأول هو زعزعة ثقتهم بدينهم ، وبعود رسولهم، وعود القرآن لهم، فأمر الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يدعو اليهود إلى مباهلة ، أي بأن يقف الفريقان ويدعو الله بهلاك الكاذب منهما . ثم يعقب الخالق على هذا التحدي، بتقرير أنهم لن يقبلوا المباهلة ، ولن يطلبوا الموت ، لأنهم يعلمون أنهم كاذبون، ويخشون أن يتجيب الله فيأخذهم . فلن يتمنوه لأن ما قدمته أيديهم للآخرة لا يطعمهم في ثواب ، ولا يؤمنهم من عقاب، وليس هذا فحسب ، ولكنها خيلة أخرى في اليهود ، خيلة يصورها القرآن مودة تفيض بالزراية، وتنتفح بالتحقير والمهانة " لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ " آية حياة ، لا بهم أن تكون حياة كريهة، أو غير كريهة ممزقة . حياة فقط . بهذا التنكير والتحقير . حياة ديدان أو حشرات . حياة والسلام . (سيد قطب : ١٩٨١ ، ٩٢) .

"يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُنْجُزًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَعَدُّكُمْ اللَّهُ تَحْفَظُهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ" (آل عمران : ٣٠)

يععب على أى باحث مبتدئ في مجال التأصيل الإسلامي أن يصنف هذه الآية الكريمة في أى موضع من مواقع الخوف من الله ، أو الخوف من يوم القيامة أو الخوف من عذاب الله أو الخوف من الموت .. ولكن تعنى الإنسان وقت ذاك بأن يكون بينه وبين هذا اليوم أمدا بعيدا، ينعكس على نفوس الناس في الحياة الدنيا وهذا هو الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم .

"سَلَفَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعِبُ بِمَا أَكْرَكُوا بِآلِهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَنًا وَمَا وَهُمْ إِلَّا نَارُ النَّارِ وَبَشِّرِ الظَّالِمِينَ" (آل عمران : ١٥١) .
"قَالَ إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غٰفِلُونَ" (يوسف : ١٣) .

وتوضح دعوات نبي الله زكريا - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - لربه حينما تقدمت به السن . ولم تنجب زوجته، ولذا آخر من آتوان الخوف على الدين والرسالة من الضياع فهو يدعو، وهو البر الرحيم أن يهبه وريثا صالحا يكون امتدادا للحفاظ على الرسالة في قوم هم أقرب ما يكون إلى تضييع الرسالات .
"قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوْتِ لِي مِنْ وَرَآئِي وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرْزُقْنِي وَيَرِثُنِي وَكَانَ يَعْجُوذُ وَأُفْعِلُهُ رَبِّ رَهِيمًا" (مريم : ٤ - ٦) .

ويأتي التمهيد القرآني لحالة أم موسى الإنفعالية وتوجيه الخالق لها قائلا :
"وَأَوْخِيْنَا إِيَّاهُ أُمُّ مُوسَى أَنْ أَرْفَعِيهِ فَاذًا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا نَأْتِي رَاكِدُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ" (القصص : ٧) .

مع قمة موسى إيمان كونه وليداً موعوداً حينما كان جنينا .. فموسى مسع ضعفه وقلة حيلته كانت تصاحبه العناية الإلهية فلقد ولد موسى في ظل تلك الأوضاع القاسية التي رسمت قبل البدء في قمة موسى ولد والخطر محدقه به ، والموت يتلخف عليه ، والشفرة تكاد تمل إلى عنقه، وما هي ذى أمه حائرة به ، خائفة عليه من الموت ، تخشى أن يهل نبوءه إلى الجلايين ، وترجف أن تتناول عنقه السكين ، وما هي ذى بطفلها الوليد في قلب المخافة ، عاجزة عن حمايته ، عاجزة عن إخفائه ، عاجزة عن حجز صوته الفطري أن ينم عليه، وهما تتدخل العناية الإلهية بقدرتها، لتمل إلى قلب أم موسى .. أن أرفعيه فاذا خفت عليه وهذا قائم فألقيه في اليم في رعاية اليد التي لا أمان إلا في جوارها ، اليد التي لا خوف معها . اليد التي لا تقرب المخاوف من حماها ، اليد التي تجعل النار بردا وسلاما ، وتجعل البحر ملجأ ومناما ، اليد التي لا يجروا فرعون الطاغية الجبار ولا جبابرة الأرض جميعا أن يدنوا من حماها الأمن العزيز الجانب .. وهنا قوة الايمان تتغلب على مشاعر الخوف العام فتستجيب الأم إلى نواميس رب الحياة، وتنحى نواميس الحياة جانبها . فقد أعطاه الله البشارة برده إليها ردا جميلا وجاعله للطاغية رسولا . (سيد قطب ، ١٩٨١ ، ٢٦٧٨ ، ٢٦٧٩) .

وتتواتر الآيات التي تجسد أحاسيس أم موسى حيث يقول الخالق :
"وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتَحْدِيَ بِهِ لَوْ أَنَّ رِجْلَهَا مَعْلَى قَلْبِهَا لَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ" (القصص : ١٠) .

وخوف موسى على نفسه من القتل والموت قصاصا لما فعل :
فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الظَّالِمِينَ" (القصص : ٢١) .

" قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ " (القمر : ٢٣) .
ثم يأتي القرآن ثانية على أهل النفاق عقولهم، ثم يبعث الخوف في مشاعرهم قائلا :
" وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدَّبَرَ وَكَانَ اللَّهُ مَسْئُولًا * قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ كَرَرْتُمْ مِنْ الْقَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا " (الأحزاب : ١٥ ، ١٦) .

ثم يعبر المعنى العميق موقف الموت والعرض والحساب قائلا :
" وَجَاءَتْ نَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِي السُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ * وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ " (ق : ١٩ - ٢٢) .
وهنا يعالج الله عز وجل القلوب الغافلة، بتعريضها إلى مشهد الموت وسكراته ومشهد الحساب وعرض السجلات، ثم مشهد جهنم بعد ذلك فاغرة فإها تتلمسط كلمها ألقي فيها وقودها البشري تقول هل من مزيد .

إنها لرحلة واحدة متصلة حقا تبدأ بالميلاد ، وتتمر بالموت وتنتهي بالبعث والحساب، ترم للقلب والعقل البشري طريقه الوحيد الذي لا فكاك عنه ولا محيد، وهو من أول الطريق إلى آخره في قبضة الله لا يتملص، تحت رقابته فهل من صوة لنفوسه وإليه .

(٥) الخوف من الفقر :
الفقر من الأشياء التي يخافها الفرد، ويخشها، ويسعى جاهدا إلى تجنبها بشتى الوسائل والامكانيات، وهو غير محبب إلى كل النفوس .
ولذلك كان علاج الغنى الحميد لهذا الموضوع في قرآنه على نفس المستوى الذي يناسب كراهية وخوف الفرد المؤمن لهذه الظاهرة .
" قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْسَلٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّعُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ " (التوبة : ٢٤) .
" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْغَنَاءُ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَنَاجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَتَوْفَّيْغِيكُمْ اللَّهُ مِنْ قَلِيلٍ إِنْ شَاءَ إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ " . (التوبة : ٢٨) .

وهنا يجسم التعبير نجاسة المشركين، نجاسة أرواحهم، فيجعلها ماهيتهم وكيانهم، فهم بكليتهم وبحقيقتهم نجس ، يتقذره الحس . ويتطهر منه المتطهرون وهو النجس المعنوي، لا الحس في الحقيقة . فأجسامهم ليست نجس بذاتها وإنما هي طريقة التعبير القرآني بالتجسيم المعجز، ولكن الموسم الإقتصادي الذي ينتظره أهل مكة ، والتجارة التي يعيش عليها معظم الظاهريين في الجزيرة ، ورحلة الشتاء والصيف التي تكاد تقوم عليها الحياة . . إنها كلها ستتعرض للضياع بمنع المشركين من الحج ، وبإعلان الجهاد العام على المشركين كافة .
نعم ولكنها العقيدة، والله يريد أن تخلص القلوب كلها للعقيدة، وبعد ذلك فالله هو المتكفل بأمر الرزق من وراء الأسباب المعهودة والمألوفة، وهو رب الأسباب " وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَتَوْفَّيْغِيكُمْ اللَّهُ مِنْ قَلِيلٍ إِنْ شَاءَ " .
وحين يشاء صاحب القدرة يستبدل أسباب بأسباب، وحين يشاء يخلق بابا ويفتح أبوابا .

" وَلَا تَجْعَلْ لَدَيْكَ مَفْلُوكَةً يَأْتِي عَنْقَكَ وَلَا تَسْتَطِيعُ كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَعْسُورًا * إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَسَانٌ بِغَيْبَادِهِ خَبِيرٌ بَعِيرٌ * وَلَا تَفْشَلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَقِيْ نَحْنُ نَرْزُقْهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خُطْئًا كَسِيرًا " (الإسراء : ٢٩ - ٣١) .

وهنا يسوق الباري لنا المنهج الإسلامي الحنيف، الوسيط في الإنفاق، لا تبذير ولا تقتير .. فالتوازن هو القاعدة الكبرى في المنهج الإسلامي ، والغلو كالتفريط يخل بالتوازن ، والتعبير هنا يجري على طريق التصوير ، فيرسم البخل يدا مغلولة إلى العنق . ويرسم الإسراف يدا مبسوطة كل البسط لا تمسك شيئا ، ويرسم نهاية البخل ونهاية الإسراف قعدة كقعدة المعلوم المحسور ، والحسير في اللغة العربية الدابة تعجز في السير فتقف فعفا وعجزا، وكذلك المسرف ينتهي به الإسراف إلى وقفه الحسير وكذلك البخيل يحسره بخله فيقف في الحالتين ملوما محسورا، وخير الأمور الوسط .

ثم يعقب على الأمر بالتوسط بأن الرزاق هو الله، هو الذي يبسط في الرزق ويوسع، وهو الذي يقدر في الرزق ويقيق، ومعطى الرزق هو الأمر بالتوسط في الإنفاق . وكان بعض أهل الجاهلية بل وأهل هذا الزمان في بعض البلدان يقتلون البنات خشية الفقر والإملاق، ونهى الوهاب قتل الأولاد خوفا من الفقر وهنا نقف وقفة مع التعبير القرآني المعجز ففي هذا الموضع قسدم الرزاق رزق الأبناء، على رزق الآباء ، بينما يقول رب العزة والجلال في سورة الأنعام : " وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ " (الأنعام : ١٥١ الآية) . وهنا قدم الله رزق الآباء على رزق الأبناء، وذلك بسبب اختلاف آخر في مدلول النص، ففي النص الأول يكون القتل خشية وقوع الفقر بسببهم، فقسدم رزق الأولاد وفي سورة الأنعام قتلهم بسبب فقر الآباء، فعلا، فقسدم رزق الآباء فكان التقديم والتأخير وفق مقتضى الدلالات التعبيرية .

وعلى أولئك الذين يقترحون على الرسول - صلى الله عليه وسلم - تلك المقترحات المتمثلة من بيوت من زخرف وجنات من إبنخيل والأعصاب يقول الحق لهم : " قُلْ لَوْ أَنَّهُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ كَشْيَةً الْإِنْفَاقِ وَكَسَانِ الْإِسْطَرِّ قَتُورًا " (الإسراء : ١٠٠) .
إنه لو وكلت لهم رحمة الله لكانوا بخلا أشحاء ولأمسكوا وبخلوا خوفا من نفاذها ورحمة الله لا تنفذ ولا تغير .

٦) الخوف من الناس :

الخوف من الناس من الإنفعالات الطبيعية لدى البشر منذ الولادة ، ولكن ارتقاء هذا الخوف إلى درجة تنمو في الفرد عن خوفه من خالق الناس هو الأمر غير الطبيعي وهو الذي يخرج الإنسان من دائرة العبودية لله، إلى دائرة العبودية لغير الله .. ولقد عالج القرآن الكريم هذا الجانب من الخوف في أكثر من موضع فيقول عز من قائل :
" أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً " (النساء : ٧٧ الآية) .
" وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَكْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا قَوْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا " (النساء : ٨٣) .
" وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَغْيِهِمَا قُتُورًا أَوْ إِرَافًا كَلَّا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُفْلِحَا بَيْنَهُمَا طَلْحًا وَابْتِغَاءَ حَبْرٍ " (النساء : ١٢٨ الآية) .
" الْيَوْمَ يَمْشِي الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا يَخْشَوْنَ اللَّهَ وَآخِثُونَ " (المائدة : ٣٠ الآية) .
" فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِثُونَ " (المائدة : ٤٤ الآية) .
" فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُغْلِبُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَذِيرٌ " (المائدة : ٥٢) .

• وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَقْعَمُونَ فِى الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَذِلَكُمُ النَّاسُ فَكَاؤُكُمْ وَأَيْدِيكُمْ يُنْفِرُهُمْ وَدَرَجَاتُكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " (الأنفال : ٢٦) .
 "وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى تَوَّاءَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ" (الأنفال : ٥٨) .
 "كَمَاءٌ آمِنٌ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُفْرِيقِينَ " (يونس : ٨٣) .
 " فَفَرَزَتْ مِنْكُمْ لَمَّا خَفَتْكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ " (الشعرا : ٢١) .

حتى الحشرات لم تسلم من الخوف من الإنسان كما قال عز وجل في سورة النمل:
 " حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادٍ النَّمْلِ قَالَتْ ثَغْلَةٌ يَأْتِيهَا النَّملُ أَذْخُلُوا مَنَاجِرَكُمْ لَا يَخَظَّكُمْ سُلَيْمَنٌ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ " (النمل : ١٨) .
 " فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ " (القصص : ١٨ الآية) .
 " فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ " (القصص : ٢١ الآية) .
 " قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ " (القصص : ٢٥ الآية) .
 " إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون " (القصص : ٢٤ الآية) .
 " هَوَّيْ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ كَأَنْتُمْ فِيهِ تَوَّاءَ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ " (الروم : ٢٨) .
 " أَشْعَةً عَلَيْهِمْ فَلَمَّا أَتَاهَا أَلْخَوْفَ رَأَيْتَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشْعَةً عَلَى الْخَيْرِ " (الأحزاب : ١٩ الآية) .

وهنا في هذه الآية الكريمة، يبدأ التعبير الإلهي في تصوير كسرة المناقبات على المسلمين ، كزارة بالجهد وكزارة بالمال ، وكزارة بالعواطف والانفعالات والمشاعر ثم يصورهم مع الخوف صورة شاذة ، واضعة المعسالم ، متحركة الجوارح ، وهو في الوقت ذاته مضحكة ، تشير السخرية من هذا المصنف الجبان ، الذي تنطق أوصاله وجوارحه في لحظة الخوف والجبن المرتعش الخوار ، وأشد سخرية مورسهم بعد أن يذهب الخوف ويجأ الأمن . فخرجوا من الجحور وارتفعت أمواتهم بعد الارتعاش .

وهنا تتجلى أوضح معالم المظاهر الجمية المصاحبة لإنفعال الخوف من الارتعاد والاضطراب ودوران العين ذات اليمين وذات الشمال .
 " إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ يَهْمَانَا عَلَى بَغِيضٍ لَنَا حَكَمٌ بَيْنِنَا بِالْحَقِّ وَلَا تَسْطِطْ وَأَهْبِثَا إِلَى تَوَّاءَ الْقَرْيَةِ " (ص : ٢٢) .
 " وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ " (غافر : ٢٦) .
 " لِأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ ذَلِكَ بِأَنْتَهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ " لا يَقْتُلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مَعْصَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءَ جَدْرِ بَأْسِهِمْ بَيْنَهُمْ شِدِيدٌ تَخَسُّبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنْهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ " (الخر : ١٣ ، ١٤) .

٧) أنواع أخرى من الخوف :

لقد تعددت أنواع الخوف في القرآن الكريم لدرجة يصعب على أي باحث أن يلخصها جميعا في تصنيف واحد وسوف نحاول جاهدين أن نورد أهم أنواع الخوف الأخرى فيما يلي :-

أ) الخوف من الطواهر الجوية والطبيعية :

هناك مخاوف كثيرة تحتاج الإنسان كالخوف من البرق والخوف من الرعد والخوف من الظلم والخوف من الأماكن المرتفعة .

ولقد عالجت آيات الذكر الحكيم بعض هذه الجوانب نذكر منها :
 " أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنُقُرٌ يُجْعَلُونَ أَسْمِعُهُمْ فِيهِ إِذَا نَسَمَ مَنْ
 السَّمَاءِ بِقُحْرٍ خَذَرٍ أَلْفَوْهُ وَاللَّهُ مُخِيطٌ بِالْكَافِرِينَ " . يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا
 أَفَاءَ لَهُمْ مَتْنُونًا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ سَاءَ أَلْفَهُ لَكُنَّ يَتَذَكَّرُونَ
 وَأَبْصُرُهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (البقرة : ١٩ ، ٢٠) .
 " هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ أَلْبَرَقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنِزِّلُ السَّحَابَ الْبَقَالَ " (الرعد : ١٢) .
 " يَكَادُ مَنَّا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ " (النور : ٤٣ الآية) .
 " وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ أَلْبَرَقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنِزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَخْشِي بِهِ الْأَرْضَ
 بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ " (الروم : ٢٤) .

(ب) الخوف من الرذائل :

كثير من عباد الله المؤمنين يخافون من الشيطان ويخافون من الرذائل
 ولقد عالج القرآن هذا الجانب في أكثر من موضع حيث يقول عز من قائل :
 " إِنَّمَا ذُرِّيَّتُكُمْ الشَّيْطَانُ يَخْوَفُ أَوْلِيَائِهِ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " (آل عمران : ١٧٥) .
 " وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمِينِ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنَاسِكَ وَتِلْكَ
 وَرَبِّحَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَ دَعَا أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعْدِلُوا " (النساء : ٣) .
 " وَلِيَحْشُرَ الَّذِينَ لَوْ تَزَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً رَقِطًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ
 وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا " (النساء : ١٩) .
 " وَمَنْ لَمْ يَسْطِمْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
 مِنْ فِتْنَتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَيْمَانِكُمْ بَعْدَكُمْ مَنْ يَقْبِضَ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ
 أَهْلِيهِنَّ وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفَحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا
 أَحْبَبْتُمْ لَهُنَّ فَبَشِّرْنَهُنَّ بِمَا كُنَّ يَنْتَظِرْنَ يُغْفَرُ لَكُمْ عَلَى الْعَذَابِ ذَلِكَ لِقَوْمٍ حَشِيصٍ
 الْعَبَثِ مِنْكُمْ وَأَنْ تَحْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ " (النساء : ٢٥) .
 " وَالَّذِي تَخَافُونَ شُرُوكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَتَطَؤُهُمْ وَأَهْبِئُوهُمْ فِي الْفَجَاعِ وَأَهْبِئُوهُمْ فَمَنْ أَطْعَمَكُمْ
 فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِمْ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا " (النساء : ٢٤ الآية) .
 " تَبَايَسَ إِتْيَ أَخَا أَنْ يُعْصَلَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَكَوْنِ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا " (مريم : ٤٥) .

(ج) الخوف من الخوارق والمعجزات وأعمال السحرة :

ينتاب الناس خوفا شديدا من العوارض الفجائية، فما بالناس إذا تعرض لهذا
 الإنسان وخاصة الأنبياء إلى المعجزات والأمور الخارقة للعادة، فهذا بلا شك سوف
 يؤدي إلى الخوف والهيلع وإرتعاد الفرائص .
 ولقد حكى لنا القرآن الكريم مثل هذه الأمور في أكثر من موضع نذكر منها :
 " قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا نَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِجْنٍ عَظِيمٍ " (الأعراف : ١١٦) .
 " وَمَا تِلْكَ يَتِيمَتِكَ يَمْوَسَّى " قَالَ مِنْ عَصَائِ أَتَوَكُّوْا عَلَيْهَا وَأَهْرَبَهَا عَلَى غَمِي
 وَلِيٍّ فِيهَا مَارَبٍّ آخَرٍ " قَالَ أَلْقَهَا يَمْوَسَّى " فَأَلْقَهَا فَإِذَا فِي مَسِيَّةٍ تَنَعَّى " .
 قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَتُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى " (طه : ١٧ - ٢١) .
 " قَالَ نَبْلُ أَلْقُوا فَإِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصْبُهُمْ جَبَلًا يَلِيهِ مِنْ سَحَابٍ مَتْنُونٍ " فَأَوْجَسَ
 فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى " فَلَمَّا لَا تَخَفْ بَئِكَ أَتَتْ الْأَعْلَى " (طه : ٦٦ - ٦٨) .
 " إِنَّا أَنَا بِرَبِّكَ لَنَغْفِرَ لَكَ خَطِيئَتَا وَمَا أَكْرَهْتَنا عَلَيْهِ مِنْ السَّجْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ
 وَأَبْقَى " (طه : ٧٣) .
 " وَأَنْ أَلْقَ عَصَاهُ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسَّى
 أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ بَئِكَ مِنَ الْآمِنِينَ " (القصر : ٢١) .
 إلا أنه يجب أن ننوه هنا أنه رغم أن الخوف من السحر قد طرق في آيات عدة من
 القرآن الكريم إلا أنه يحرم شرعا الذهاب إلى السحرة أو تمديقهم .

(د) الخوف من القوة الحربية :

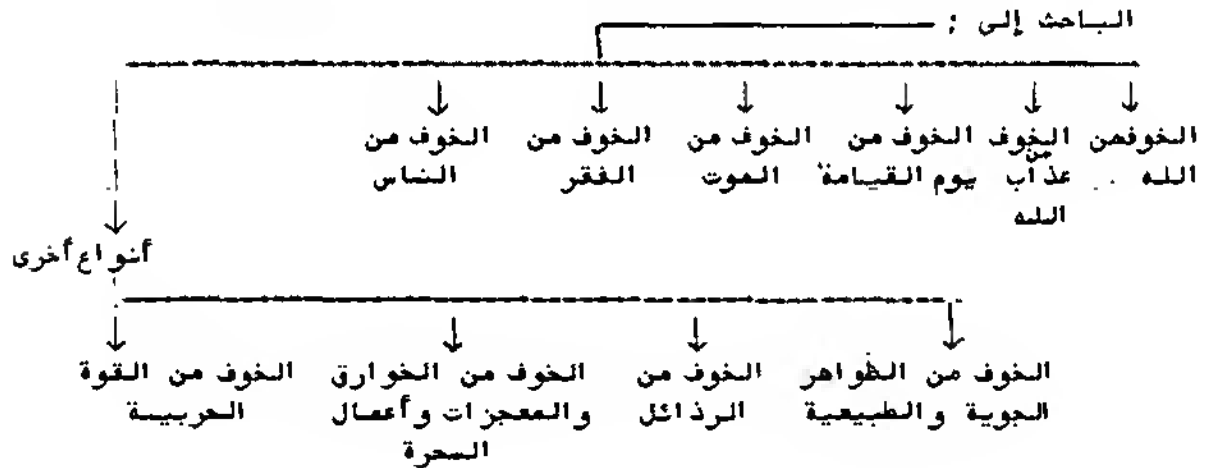
لم يترك القرآن الكريم أمرا فيه مصلحة للمسلم إلا وعالجه سواء كان ذلك في حياة السلم أو الحرب، ومن الآيات التي عالجت الخوف من القوة الحربية ما يلي :

" إِذْ يَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلِقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّغْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ " (الأنفال : ١٢)

" وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَالْآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ " (الأنفال : ٦٠) .
 " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا عَهْدَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ بِحُنُودٍ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ■ إِذْ جَاءَكُمْ قَبَسٌ مِنْ قَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ كَتَبُوا عَلَيْكُمْ وَإِذْ زَافَتِ الْأَقْصَارُ وَكَلَّفَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ■ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَذُلُّوا ذُلًّا مُبِينًا " (الأحراب : ١١-١٠) .
 " وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَهَرَوْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَافِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّغْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا " (الأحراب : ٢٦) .

" سَيَنْزَلُ الْجَمْعُ وَيَبْكُونَ الذُّبُرَ " (القمر : ٤٥) .
 " لَئِنْ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قَاتَلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ تَمَرَوْهُمْ لَيُؤْتِلَنَّ الْأَذُنُ شَيْئًا لَا يَنْصُرُونَ " (الحشر : ١٢) .

وهكذا نرى أن الخوف في القرآن الكريم يشمل على أنواع عدة قد صنفها



ثانياً: نفي الخوف من عباد الله العتقين :

إن الحياة الدنيا هي دار العمل والكد والتعب والخوف والطمع والرجاء والدعاء والعبادة .. فمن أحسن زراعته للأخرة حسن حصاده، وقل خوفه واطمأنت نفسه، وأظله الله بظله يوم لا ظل إلا ظله .
ولقد سبق أن أشرنا في موضوع الخوف من الموت بأنه كلما ارتفعت درجة الإيمان لدى الفرد المسلم كلما قلت لديه درجة الخوف من الموت، فهو لا عمروا قلوبهم بذكر الله فاطمأنت نفوسهم في الدنيا ألا بذكر الله تطمئن القلوب .

ولقد عالجت آيات الذكر الحكيم هذا الموضوع في أكثر من موضع في كتاب الله نذكر منها :
" قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " (البقرة : ٢٨) .
" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالشَّكِرَاءَ وَالْمُصَلِّينَ مِنْ أَمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " (البقرة : ٦٢) .
" بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " (البقرة : ١١٢) .
" الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَسًّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " (البقرة : ٢٦٢) .
" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " (البقرة : ٢٧٧) .
" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالشَّكِرَاءَ وَالْمُصَلِّينَ مِنْ أَمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " (المائدة : ٦٩) .
" وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَمْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " (الأنعام : ٤٨) .
" يُسَبِّحُ أَهْلَهُمْ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُومُونَ عَلَيْكُمْ ءَاتِيهِ فَمَنْ أَتَقَى وَأَمْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " (الأعراف : ٣٥) .
" أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ؕ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ؕ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ " (يونس : ٦٢ - ٦٤) .

بعد أن أعلن الديان تسبيح الخيال مع الذرات السابحة في جوف الأرض وأقطار السماء - ومعها علم الله - ومع ما هو أغمق من الذرة - وما هو أكبر محمورا في علم الله .. ويرتفع الوجدان إشفاقا ورهبة ، ويخضع القلب إجلالا وتقوى ، حتى يطمأن الإيمان من الروعة والرهبة ، ويهدد القلب الواجب بأمر القرب من الله ، وفي ظل هذا الأتس وفي طمأنينة هذا القرب .. يأتي الإعلان الجاهز " أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " .

وكيف يخاف أولياء الله أو يحزنون؟ والله معهم هكذا في كل شأن ، وفي كل عمل، وفي كل حركة أو سكون ؟ وهم أولياء الله ، المؤمنين به الاتقياء المراقبون له في السر والعلن : " الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ " .
كيف يخافون وكيف يحزنون وهم على اتصال بالله لأنهم أولياؤه ؟ وعلام يحزنون وهم يخافون ، والبشرى لهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة . (سيد قطب : ١٩٨١ ، ١٨٠٤) .

" وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْلَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا " (طه : ١١٢) .

" إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا
وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ " (فصلت : ٣٠) .
" يَعْبُدُوكَ وَإِنَّكُمُ الْيَوْمَ لَكُمُ الْمَدِينَةُ " (الزخرف : ٦٨ ، ٦٩) .
" إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " (الأحقاف : ١٣) .
" لَقَدْ مَدَقَّ اللَّهُ رَسُولَهُ يَا بَالِغَ الْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
إِمْنِينَ مُخْلِطِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَعَجَلْ مِنْ دُونِ
ذَلِكَ فَتَحْنَا قُرَيْشًا " (الفتح : ٢٧) .

مما تقدم يتضح أن الخوف ينتفي عن عباد الله المخلصين وهم :

- (١) الذين يتبعون منهج الله في كل حركاتهم وسكناتهم .
 - (٢) المؤمنون والناموس واليهود الذين آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا
الصالحات .
 - (٣) الذين أخلصوا كل مقاليدهم لله وأحسنوا .
 - (٤) الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منها ولا
أذى .
 - (٥) الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة
ويقيمون حدود الله .
 - (٦) الذين يتقون الله حق تقاته .
 - (٧) الذين آمنوا بالله واستقامت أعمالهم على منهج الله وسنه نبيه .
- هؤلاء جميعاً لهم الأمن في الدنيا والآخرة ولا خوف عليهم، ولا هم يحزنون
فحينما يكون الأمن وعدم الخوف لا يكون للحزن مكان ومن هنا نجد أن معظم
الآيات الكريمة تأتي بعدم الخوف سابقاً ثم تأتي بعدم الحزن لاحقاً فكلهما مرتبط
بالآخر بعلاقة وثيقة . والله تعالى أعلم .
- ثالثاً: بعض المظاهر الجسمية المصاحبة للخوف :

=====

يستدل علماء النفس المحدثين على الخوف من خلال المظاهر الجسمية
المصاحبة لانفعال الخوف، مثل العرق وارتعاد الأطراف وعدم استقرار النظر،
وسرعة ضربات القلب والتنفس وغير ذلك من المظاهر الجسمية .
إلا أنه يجدر بالذكر أن القرآن الكريم قد سبق هؤلاء العلماء بأكثر من
ألف وجزء من ألف من السنين في تناول هذه المظاهر التعبيرية المصاحبة
للحالات الانفعالية، سواء كان هذا الانفعال خوفاً أو غضباً أو فرحاً أو غيره .
وفيما يلي نورد بعض آيات الذكر الحكيم التي تناولت بعض المظاهر

الجسمية المصاحبة لانفعال الخوف ومنها قوله تعالى :
" أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفَ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى
عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذُهِبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ
لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَخْبَطَ اللَّهُ أَفَعُيْلُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا " (الأحزاب : ١٩) .

فهنا لم يكتفِ التعبير القرآني البليغ بعلاقة واحدة من تحديد النظر في
حد ذاته علامة من علامات الخوف، ثم دوران العين داخل مقلتها فهو علامة بليغة
من علامات الخوف، ثم يأتي التشبيه القرآني لجسد أكبر علامات الخوف كالذي
يغشى عليه من الموت .

" وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى
لِّلْمُتَكَبِّرِينَ " (الزمر : ٦٠) .
" وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ
وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ " (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ " (غافر : ١٨ ، ١٩) .

وهنا يصور لفظ الآفة يوم القيامة كأنها مقتربة زاحفة ، الأنفاس من ثم مكروبة لاهثة ، كأن القلوب المكروبة تنفط على الحناجر وهم كاهمون لأنفاسهم ولألامهم ولعناؤهم ، والكظم يكرههم ، ويشغل مدورهم ، وهم لا يجسدون حميما يعطف عليهم ولا شفيعا ذا كلمة تطاع في هذا الموقف المكروب ... والعين الخائنة التي تجتهد في إخفاء الخوف لا تخفى على العليم المتعال وكذلك ما هو مخزون في المدور هو مكشوف أمام علم الله ... فهل يستطيع الإنسان مهما أوتي من علم أن يصل إلى مثل هذا التعبير الإنفعالي الذي لا يرتقى إليه علم البشر .

" مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ ظَلِيلٌ فِي السَّارِ وَسُقُوا قَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ " (محمد : ١٥) .

" يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ زَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ وَنَظَرَ الْمُغَفِرِ عَلَيْهِ مِنْ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ " (محمد : ٢٠) .

" أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَنْ لَّنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَمْعِنَهُمْ ۖ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرْسَلْنَاهُمْ قُلُوبَهُمْ بِسَمْعِهِمْ وَلَنُفَرِّقَنَّ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ " (محمد : ٢٩ ، ٣٠) .

" لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكُشِفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءً لَّكَ فَبَصُرَكَ الْيَوْمَ حَرِيدٌ " (ق : ٢٢) .

" فَأَقْبَلْتُ أَمْرَاتُهُ فِي مَرَوْ فَهَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ " (الذاريات : ٢٩) .
وإن كانت العلامة الإنفعالية هنا تنبئ من الدهشة والاستغراب إلا أن هذا السلوك قد يكون علامة مميزة للخوف في بعض الأحيان الأخرى .
" مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَفَأَ " (النجم : ١٧) .

وهنا يركى الله جلت قدرته بمر المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن رغللة من هول الموقف في عينيه ، ولا تجاوز رؤية ، إنما هي المشاهدة الواحدة المحققة التي لا تتحمل شكا ولا طنا ، وقد عاين فيها من آيات ربه الكبرى ، واتصل قلبه بالحقيقة عارية مبانة مكشوفة . (سيد قطب : ١٩٨٩ ، ٢٤٠٧) .
فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّتَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ (الملك : ٢٧) .

" يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۖ خَشَعَتِ أَبْصَارُهُمْ تَرَاهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِحُونَ " (القلم : ٤٢ ، ٤٣) .
" يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ يَرَاءُكَ كَأَنَّكَ الْوَسِيُّ يُفَضُّونَ ۖ خَشَعَتِ أَبْصَارُهُمْ تَرَاهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ " (المعارج : ٤٣ ، ٤٤) .
" قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۖ فَلَمَّ يَرُدُّهُمْ دَعْيًا ۖ إِلَّا فِرَارًا ۖ وَإِنِّي كَلِمًا دَعَوْتُهُمْ لِيَتَغَفَّرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِي أَذَانِهِمْ وَأَسْتَفْسَأُوا شِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا ۖ وَأَسْتَكْبَرُوا ۖ اسْتَكَبَرُوا " (نوح : ٥ - ٧) .

" فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَنَ شِيبًا " (الزمر : ١٧) .

إن سورة الخوف هنا لا تستوجب الخوف فحسب بل لو أن هناك إنفعال أكبر من ذلك لجئ به ، فالهول هنا تشق له السماء ، ومن قبل رجفت له الأرض والجبال وإنه تشيب له الولدان وإنه لهول يرسم صورته في الطبيعة الصامتة ، وفي الإنسانية الحية ، في مشاهد ينقلها السياق القرآني إلى حس المخاطبين كأنها واقعة ثم يؤكدونها تأكيداً " كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا " واقعا لا خلف فيه . (سيد قطب ، ١٩٨١ ، ٣٧٤٨) .

" ثُمَّ نَظَرَ • ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ • ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ " (المدثر : ٢١-٢٣) •
 " وَوَجْهُهُ يَوْمَئِذٍ بِآبِرَةٍ • نَحْنُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةً • كَسَلًا إِذَا يَلَفَعْتِ
 التَّزَاوِي • وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ • وَطَنَّ أَتَنَّهُ الْفِرَاقُ • وَالتَّفَتُّ السَّاقُ بِالسَّاقِ • إِلَى رَبِّكَ
 يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ " (القيامة : ٢٤ - ٣٠) •

والوجوه الباسرة هي الوجوه الكالحة المنقبضة التعبية / المحجوبة عن
 النظر والتطلع بخطاياها وارتكاسها وكشافتها وانطماسها وهي التي يشغلها
 الخوف ويحزنها الظن ويخلع عليها البسر والكلوحة توقعها أن تحصل بها
 الكارثة القاصمة للظهر ، والمحطة للفقر ، الفاقة • وهي من المتوقر
 والتوجس في كرب وكلوحة وتقبط وتنغص • (سيد قطب : ١٩٨١ و ٣٧٧٢) •
 " إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ
 الْكَافِرُ كَيْلَيْتَنِي كُنْتُ تُرًّا بَاءً " (النبا : ٤٠) •
 " يَوْمَ تَوَجَّدَ الرَّاحِلَةُ • تَشَبَّهًا الرَّاكِدَةُ • قُلُوبٌ يَوْمِئِذٍ وَاجِفَةٌ • أَبْصَرُهَا
 خَشَعَةٌ " (النارعات : ٦ - ٩) •
 " فَإِذَا جَاءَتِ الْعَامَّةُ • يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ • وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ • وَمَنْجَبَتِهِ
 وَبَنِيهِ • لِكُلِّ فِرَاقٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ " (عمر : ٣٣ - ٣٧) •
 " وَوَجْهُهُ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ • غَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ • تَمَلَّى نَارًا حَامِيَةً • تُفْقَى مِنْ عُيُنٍ
 أُنِيتْ • لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ هَرِيعٍ • لَا يُنْعَمُونَ وَلَا يُفْنَى مِنْ جُوعٍ " (الغاشية :
 ٧-٢) •

وهنا تتجلى القدرة الإلهية في تموير التعبيرات الجسمية الظاهرة
 والباطنة التي تصاحب إنفعال الخوف بشكل خاص والإنفعالات بشكل عام وهي :

- الخشوع مع الذلة •
 - ظهور الإعياء والتعب •
 - الفرار من أعين الأعزاء •
 - الام البطن الشديدة التي تتقطع معها الأمعاء •
 - كلاله الوجه •
 - تخبط الرجلين والساقين في بعضهما بل والتفافهما •
 - عبوس الوجه وظهور علامات الضيق والخوف •
 - تحاشي السمع بوضع الأصابع في الأذان •
 - الندم وتمني العدم •
 - اضطراب ضربات القلب وتحركه للحناجر •
 - عدم استقرار البصر •
 - تجمد البصر •
 - اضطراب التنفس واحتبائه •
 - ظهور اللحن في القول وأخطأ اللسان •
 - السهلع الشديد كالمغشي عليه من الموت •
 - ظهور الشيب المبكر •
- هذا والله سبحانه وتعالى أعلم •

جدول (١) يوضح عدد الآيات التي تناولت الخوف في البحث

مسل	البيان العددي	عدد الآيات	النسبة المئوية لمجموع آيات الخوف	ملاحظات
١	الخوف من الله	٢٨	١٦,٣١	
٢	الخوف من عذاب الله	١٦	٦,٨٧	
٣	الخوف من يوم القيامة	٢٤	١٤,٥٩	
٤	الخوف من الموت	٢٤	١٠,٣٠	
٥	الخوف من الفقر	٠٧	٣,٠٠	
٦	الخوف من الناس	٢١	٩,٠١	
٧	الخوف من الطواهر الجوية والطبيعية	٠٥	٢,١٥	
٨	الخوف من الرذائل	٠٦	٢,٥٨	
٩	الخوف من الخوارق والمعجزات وأعمال السحر	١٢	٥,١٥	
١٠	الخوف من القوة الحربية	٠٨	٣,٤٣	
١١	نفي الخوف عن المتقين	١٧	٧,٣٠	
١٢	مظاهر الخوف الجسمية	٤٥	١٩,٣١	
	إجمالي الآيات التي تناولتها البحث	٢٣٣	١٠٠	

تمثل النسبة المئوية لنوع الخوف منسوبا لاجمالي آيات الخوف التي تناولها البحث .

- يتضح من الجدول ما يلي :-
يجب أن ننوه في البداية أن هذا التناول الإحصائي ليس له أهمية كبيرة في مثل هذا البحث، إذ أن آيات الذكر الحكيم أكبر من أن تخضع للدلالات الإحصائية حيث أن القياس في الطواهر الطبيعية والإنسانية شيء والقياس على مستوى الدلالات القرآنية شيء آخر تماما .
- أن الخوف من الجليل جاء في أعلى مراتب الخوف حسب عدد الآيات التي تناولت هذا المحور .
- يأتي بعد هذا المحور الخوف من يوم القيامة ثم الخوف من الموت . وهذه الدلالات تؤكد أهمية هذه الأنواع في تقويم سلوك المؤمن بالإضافة إلى كونها أكثر المخاوف شيوعا من الناحية النفسية .
- أن أقل الآيات التي تناولت الخوف من الطواهر الجوية والطبيعية، إذ أن القرآن منهاج حياة وتهذيب سلوك ولذلك عني في المقام الأول بتنقية عقيدة المؤمن وتنظيم حياته في إطار الترغيب في رحمة الله والترهيب من الله وعذابه ويوم حسابه .

الخلاصة

في فؤ ما تقدم يمكن الاجابة على تساؤلات البحث ص ١ كما يلي :-

- (١) لقد عالج القرآن الكريم موضوع الخوف علاجاً ما بعده علاج إذ يصعب على أي باحث أن يلم بكل أنواعه في بحث واحد .
 - (٢) لقد تناول القرآن الكريم معظم أنواع الخوف المعروفة لدى علماء النفس المحدثين، بل وهناك أنواع أخرى من الخوف توجد في القرآن الكريم لم يتناولها هؤلاء العلماء مثل الخوف من عذاب الله والخوف من يوم القيامة والخوف من الرذائل والخوف من القوة الحربية .
 - (٣) نعم يفوق التراث النظري للخوف في ظلال القرآن الكريم ما يفسره لنا التراث النفسي المعاصر، إذ أن لكل آية مذكورة في هذا البحث إذا تعمقنا في تفسيرها ومدلولاتها قد تحتاج بحثاً بعينه وما هذا البحث إلا خطوة على طريق طويل .
 - (٤) نعم لقد ميز القرآن الكريم بين أصناف من الناس يرتفع الخوف لديهم وأصناف أخرى من البشر من عباد الله الصالحين . ففي الخالق جل وعلا عنهم كثيراً من أنواع الخوف في الدنيا والآخرة . كما يتضح ذلك من شأيا ص ١٦ .
 - (٥) نعم تناول القرآن الكريم مظاهر الخوف الجسمية والنفسية ما ظهر منها وما بطن بأملوب وعميق، واتساق واتساع، يمعب على العقل البشري أن يدرك كنهية هذه التغييرات "وفوق كل ذي علم عليم" .
- " رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْمُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ " .
- واخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ...

المراجع

- (١) القرآن الكريم .
- (٢) سمير محمد حسين (١٩٨٣) : تحليل المفهوم . القاهرة : عالم الكتب .
- (٣) سيد قطب ، (١٩٨٩) : في ظلال القرآن ، ط ٩ ، القاهرة :، بيروت : دار الشروق ، المجلدات من ١ إلى ٦ .
- (٤) عبد الباسط متولى خضر . (١٩٩٠) دراسة أثر تعلم العلوم الدينية (قرآن - فقه - توحيد) على مستوى النمو اللغوى للطفل . المؤتمر الدولي للطفولة في الاسلام . القاهرة ٩ - ١١ اكتوبر .
- (٥) _____ . قلق الموت لدى عينة من مرضى القلب والفشل الكلوى والأوعية ، دراسة مدوعة للنشر لدى مجلة Zagazig University Medical Journal. بتاريخ ١٩٩١/٢/٣
- (٦) _____ . نبيل زايد . الشواب والعقاب من منظور القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وعلم النفس المعاصر . دراسة نظرية مقبولة للنشر في مجلة كلية التربية - جامعة الزقازيق بتاريخ ١٩٩١/٣/٢ م .
- (٧) محمد عثمان نجاتي (١٩٨٧) : القرآن الكريم وعلم النفس ، ط ٤ ، القاهرة :، بيروت : دار الشروق .